بسم الله الرحمن الرحيم

-

التاريخ:23/05/2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسة قوانين القرآن))

في ((سنن الله في الطيب و الخبيث))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فوالله إذا ذهبنا إلى الآخرة ليس بين أيدينا إلا التقوى فو الله إنه من يتق الله سيفلح في الدنيا والآخرة، ومن كان حاله غير هذا الحال فشأنه في الآخرة غير هذا الشأن فقدموا لأنفسكم

إنه من ﴿ oo يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾[الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) ﴾[آل عمران]

وقال الله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) ﴾[فاطر]

نحن في الخطبة التاسعة عشر وقبل الأخيرة من سلسلة السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن .

يا أيها الإخوة: تعالوا نقرأ القرآن نبحث عن قوانينه .

في القرآن قوانين، سنن إلهية لا تتبدل، نواميس تحكم هذا الكون كله، من قدم مقدماتها نال نتائجها، من فهم على الله مراده سعد، و من خالف مراد الله تعالى تعب وأتعب .

تحدثنا (لماذا هذه السلسلة)، وتكلمنا عن (السنن الإلهية في التغيير)، وعن (السنن الإلهية في النصر)، وعن (السنن الإلهية في الابتلاء)، وعن (السنن الإلهية في الهداية والضلال)، وعن (السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح)، وعن (السنن الإلهية في الذنوب والسيئات)،و(في الظلم والظالمين)، و(في رزق العباد)، و(في تكليف العباد)، و(في الحياة الطيبة والمعيشة الضنك)، و(في تحصيل الألفة والمحبة)، و(في البقاء للأنفع)، وفي ﴿ oo وَالصُّلْحُ خَيْرٌ oo (128) ﴾[النساء]، وفي ﴿ oوَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه]، وفي قوله ﴿ oوَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ o(43) ﴾ [فاطر]، وفي (إهلاك الأمم)، و(في التيسير والتعسير) ....

وعنوان خطبة اليوم : السنن الإلهية في الطيب والخبيث .

الطيب في أصل اللغة: ما تستلذه الحواس وتحبه النفس السوية ثم استخدم في كل حسن .

فالطعام الطيب: ما حسن مذاقه، والكلمة الطيبة: ما حسن وقعها في نفس السامع، والأرض الطيبة: ما حسن نباتها، والرزق الطيب: ما حسن مورده ومصدره، والرجل الطيب: من حسن فعاله ومقاله وخصاله ....والخبيث عكس ذلك .

والخبيث في أصل اللغة: ما تكرهه النفس لرداءته وخسته محسوساً كان أو معقولاً .

فيدخل في الخبيث الباطل في الاعتقاد والقبيح في الفعال .

بعد هذا التعريف وقبل الدخول في مادة الخطبة لا بد من مقدمة مهمة :

أيها الإخوة هل الحسن والقبح عقليان أو شرعيان ؟

متى نقول عن الشيء أنه حسن ومتى نقول عنه أنه قبيح ؟

هل إذا قال العقل أن هذا الشيء حسن قلنا هذا حسن ؟ هل إذا قال العقل إن هذا الشيء قبيح قلنا أنه قبيح؟ أم إذا قال الشرع ؟

هل الحسن والقبح عقليان أو شرعيان ؟

متى نقول أن هذا الشيء خبيث وأن هذا الشيء طيب ؟

هل إذا قال العقل ذلك أم إذا قال الشرع ذلك ؟

وإليكم هذا المثال لتتضح الفكرة :

النظام هل هو حسن أم قبيح ؟ مبدئياً العقل يقول إن النظام أمر حسن .

لكن العقل الأميركي عندما جاء إلى العراق أراد أن ينشر فيها فوضى فلما سألوه لم ؟ قال إنها الفوضى الخلاقة ،بمعنى أن الفوضى أمر حسن والنظام أمر سيئ في العراق فالعقل الذي حسن النظام في أمريكا قبحه في العراق والعقل الذي قبح الفوضى في أمريكا حسنها في العراق أما الشرع فإنه يحسن النظام دائماً ويقبح الفوضى دائماً .

مثال آخر :

الزنا هل هو شيء حسن أو قبيح ؟ الشرع يقول إن الزنا قبيح دائماً .

لكن العقل البشري في بعض الأزمنة والأحقاب عد الزنا حرية جنسية فهو أمر حسن فيما رأوه ومادام الطرفان الرجل والمرأة موافقين على الزنا فهو أمر حسن هكذا ترى بعض العقول .

ولما نجم عن الزنا والشذوذ والمخدرات ما نجم من مرض الإيدز وأرادت منظمة الصحة العالمية تحذير أهل الأرض من مرض الإيدز وهذه المنظمة تعتبر مجمعاً لعقول خيرة الأطباء خرجت بتوصية مفادها ينبغي على الممارس للعلاقة الجنسية استخدام الواقي الذكري لحماية نفسه من الإيدز .

لم يقولوا أن الزنا ممنوع، أن اللواط سينشر خراباً في الكرة الأرضية لا بل قالوا لا يوجد مشكلة افعل ما شئت لكن استخدم إذا سمحت الواقي الذكري حتى لا تصاب بالإيدز .

فالعقل البشري أحياناً يحسن الزنا ويقول هو حرية لا تضغطوا على أحد .

الشرع جعل الزنا قبيحاً .

مثال ثالث :

الإجهاض هل هو حسن أم قبيح ؟ هل هو قتل للنفس أم ممارسة للحرية ؟

إن الإجهاض بعد نفخ الروح حرام وهو قتل للنفس وهو قبيح وهو خبيث ،لكن بعض العقول البشرية تقول اليوم إن الإجهاض حسن على أن يكون آمناً ،وتنشر منظمات عالمية هذه العبارات يقولون الإجهاض الآمن ،وماذا تقصدون بالإجهاض الآمن ؟ يقولون هو الإجهاض الذي يجري في المراكز الصحية أو على أيدي الأطباء ، وإذا سألتهم فما شأن قتل هذا الجنين يقولون لا توجد مشكلة هذا الجنين لم يرى النور حتى اليوم.

إذن أيها الإخوة إذا أوكلنا التحسين والتقبيح لعقولنا للعقل فإن الكرة الأرضية معرضة للفناء والهلاك لأن العقل البشري يتأثر بالهوى والشهوات حيناً ويضغط عليه بالقوة وبالمال حيناً آخر ويتأثر بالمعطيات المحيطة به وبمحدوديته حيناً ثالثاً . إلا إذا وصل العقل إلى الكمال عندها يكون وصل إلى الشرع.

وبناءاً عليه فنحن المسلمون الحسن والقبيح عندنا شرعيان فما قال الشرع إنه حسن نقول إنه حسن ..

وما قال الشرع إنه قبيح نقول إنه قبيح ،ما قال الشرع إنه طيب نقول إنه طيب، وما قال الشرع إنه خبيث قلنا إنه خبيث ..

عندما يقول الله تعالى لنا في قرآنه إن الزنا قبيح وحرام سنقول جميعاً إن الزنا قبيح وحرام .

إذا قال الربا قبيح قلنا الربا قبيح، إذا قال كشف العورات قبيح قلنا أنه قبيح ..

إذا قال الغش وأخذ أموال الناس بالباطل قبيح سنقول إن الغش وأخذ أموال الناس بالباطل قبيح..

بالمقابل إذا قال الشرع إن بر الوالدين حسن سنقول إن بر الوالدين حسن ...

إذا قال الصلاة أمر حسن فالصلاة أمر حسن ،إذا قال مجالس العلم أمر حسن سنقول مجالس العلم أمر حسن ،إذا قال الزكاة حسنة سنقول الزكاة حسنة ،إذا قال قضاء حاجات الخلق أمر حسن سنقول قضاء الحاجات أمر حسن .. فالحسن والقبح شرعيان .

بعد هذا المدخل **ما السنن الإلهية في الحسن والقبيح في الطيب والخبيث** .

تحدث القرآن الكريم أيها الإخوة عن الطيبات في ستة وأربعين موضعاً جاء معظمها بمعنى الحلال أو الصلاح أو الجيد . كلما مرت كلمة طيب أو طيبة أو طيبات في القرآن فغالباً يكون معناها الحلال أو الصالح أو الجيد.

قال سبحانه وتعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ 00 (172) ﴾[البقرة] أي من الحلال ومن الجيد .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ٥٥ (32) ﴾ ،[النحل] يعني صالحين وهم على درجة من الصلاح .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ٥٥ (38) ﴾ [آل عمران] يعني ذرية صالحة .

وتحدث القرآن عن الخبائث في ستة عشر موضعاً جاء معظمها بمعنى السيئات أو المحرمات.

عندما تقرأ كلمة خبيث أو خبائث في القرآن فغالباً يكون معناها سيئات أو محرمات .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٥٥ (26) ﴾ [ابراهيم] يعني مثل كلمة سيئة فاحشة كشجرة سيئة .

قال الله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ٥٥ (74) ﴾ [الأنبياء] يعني تعمل المحرمات والفواحش .

و عقد القرآن مقارنة بين الطيبات والخبائث في كثير من هذه المواضع .

وإني وجدت **السنن الإلهية في الطيب والخبيث في هذه المواضع أربعاً** .

السنة الأولى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ٥٥(100) ﴾ [المائدة]

قال الثعالبي في تفسير هذه الآية: لفظ الآية عام في جميع الأمور فيتصور في المكاسب والمعارف والعلوم ونحوها .

فالخبيث من الرزق من المال من العلوم من الفنون لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة ولو كان كثيراً.. والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة .

في دراسة إحصائية لقنوات الفضاء العربية وجد أن عدد الأقنية الفضائية الملتزمة والمنضبطة بالأخلاق والدين والقيم يمثل تقريباً عشرة بالمائة من القنوات العربية الخمس مائة .

وتبين في دراسة أخرى أن 52 بالمائة من مشاهد العنف في بعض التلفزيونات تعرض في فقرات الأطفال يعني أطفالنا على التلفزيون 52 بالمائة يشاهدون مشاهد عنف ،وأن 34 بالمائة من مشاهد الجنس في فقرات الأطفال .

لكن مهما كثر الخبيث فإنه لن يفلح ولن يحسن له عاقبة والطيب وإن قل فهو نافع جميل العاقبة

كما يقول القانون الإلهي مهما كثر مهما زاد مهما نما فإنه لن يفلح ولن ينجب ولن تحسن له عاقبة والمال الحلال طيب فهو وإن قل نافع حسن العاقبة :

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ oo(100) ﴾ [المائدة]

وهذا هو القانون الأول .

السنة الإلهية الثانية في الطيب والخبيث : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا oo (58) ﴾ [الأعراف]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((**تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن**))[ابن عدي و ابن عساكر]

وهي دعوة لاختيار الأرض الطيبة للبذار لأن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والخبيث لا يخرج منه إلا مالا خير فيه أو فيه النذر اليسير من الخير .

وفي الآثار ((**إياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء فى المنبت السوء**)) [الدارقطنى فى الأفراد ، والديلمي]

نظم أحد الشعراء هذا الكلام في قصة شعرية نافعة عنونها ب العرق دساس يقول:

برق من العشق لم تسبقه أجراس أضاء لما خبا في القلب نبراس
سر سرى كيف لم يدرك حقيقته إلا وقد دار نشواناً به الراس
خضراء في دربه ألقت حبائلها وفوقها الورد والريحان أكداس
فتىً على مثله تبكي العيون دماً من معدن الطيب حيث الناس
صخرٌ تهاوى على أقدام فتنتها جذع ترنح أن غاصت به
تزوجا فإذا الأيام كالحةٌ والآن قد كبرت في البيت
صبيتان بعمر الزهر ويحهما يا لطف ربك والتيار دعاس
صبيتان على منوال أمهما للصوت كسرٌ وللأجفان إنعاس
لعوبتان تثيران القلوب هوىً شهيتا مبسمٍ والقد مياس
مناكب سطعت في الشمس ثائرة صدر حسير تلالى فوقه الماس
نادٍ ورقصٌ لقاءات ومنتزهٌ مع الشباب وكل الصيف
لكنما الأب يامسكين أي أبٍ في عرضه الصحب والأغراب
الآن تندم والظهر انحنى كبراً وما تبقى لأجل القرع أضراس
حل الذي حل والأمر انقضى فما عليك إذا رمت الردى
من يذكر المصطفى يذكر وصيته تخيروا العرق إن العرق دساس

البلد الطيب أيها الإخوة يخرج نباته بإذن ربه ..

البلد الطيب في الزواج اختر في زواجك بلداً طيباً ...

البلد الطيب في العمل والرزق الحلال اختر رزقاً يكون بلداً طيباً...

البلد الطيب في الأصحاب اختر بلداً طيباً في أصحابك ..

أما الذي خبث من كل ذلك فلا يخرج إلا نكداً يخرج منه مالا خير فيه أو ما قل خيره وعسر وهذه هي السنة الإلهية في الطيب والخبيث .

السنة الثالثة قبل الأخيرة تقول : ﴿ ooيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ oo(157) ﴾ [الأعراف]

اعلموا يا أيها الإخوة أنه ما من شيء حرمه الشرع إلا لأنه خبيث حرم لأنه خبيث .

حرم الربا لأنه خبيث، وحرم لحم الخنزير لأنه خبيث، وحرم كشف العورات لأن هذا الأمر خبيث، وحرمت السرقة لأنها خبيثة ، وحرم عقوق الوالدين أو الظلم أو القطيعة أو الغش في البضائع لأنه خبيث ..كل هذا حرم لخبثه وسوءه .

وكل ما أحله الشرع فهو نافع ومفيد وطيب : ﴿ ooيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ oo(157) ﴾ [الأعراف]

السنة الرابعة والأخيرة : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ oo (179) ﴾ [آل عمران]

اعلم أيها الأخ إن ما يجري اليوم في عالم المسلمين من ضربات واحتلال لأرض المسلمين وقلاقل في بلاد المسلمين .

اعلم أنما يجري حولك من إغراء بالمعاصي أو صد عن الطاعات كل هذا خاضع لسنة الابتلاء التي سبق دراستها على هذا المنبر .

وهي اختبار يميز الله به الخبيث من الطيب ويظهر به المعدن النفيس من المعدن الخسيس :

﴿ ooوَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) ﴾[آل عمران]

يا أيها الإخوة هذه هي السنن الإلهية في الطيب والخبيث :

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ooo(100) ﴾[المائدة]

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا oo (58) ﴾[الأعراف]

﴿ ooيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ooo(157) ﴾[الأعراف]

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ oo (179) ﴾[آل عمران]

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله..